

رَأَاثَا
كُرَيْسِي

عِيْنَةٌ مِّنَ الرِّوَايَةِ
(لِلتَّصْفِيحِ وَالْإِطْلَاعِ)

مَوْتِ السَّيِّدَةِ مَاغْنَتِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أغاثا كريستي

موت السيدة ماغنتي

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٥٢

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسون



الأجبال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٥٢ بعنوان

Mrs McGinty's Dead

Copyright Agatha Christie Mallowan 1952

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

الفصل الأول

خرج هيركيول بوارو من مطعم فييل غراندمير إلى سوهو، ورفع ياقة معطفه إلى عنقه من قبيل الحذر لا من قبيل الحاجة، إذ إن الطقس لم يكن بارداً تلك الليلة. وكأن لسان حاله يقول: "ولكن المرء -في مثل سني- لا يجازف".

كانت في عينيه سعادة ناعسة متأملة، وكانت وجبة المأكولات البحرية في مطعم فييل غراندمير شهية. ذلك المطعم الصغير البسيط كان مكسباً لبوارو الذي راح يمرر لسانه على شفثيه متأملاً كالكلب الشبعان ثم أخرج منديله من جيبيه ومسح به شاربيه.

نعم، لقد تناول عشاء جيداً، فماذا يفعل الآن؟ تباطأت سيارة أجرة كانت تمر بجانبه كأنها تدعوه للركوب. وتردد بوارو قليلاً ولكنه لم يصدر أي إشارة، فلماذا يستأجر سيارة؟ إنه سيصل إلى بيته -على أية حال- في وقت مبكر عن موعد نومه.

تمتم مخاطباً شاربه: "من المؤسف أن لا يستطيع المرء أن يأكل أكثر من ثلاث مرات في اليوم". ذلك أن الوجبة التي يتناولها الإنكليز مع الشاي عصراً كانت وجبة لم يستطع بوارو التأقلم معها، وكان

يشرح ذلك قائلاً: إن تناول أي شيء عند الساعة الخامسة سيفقد المرء شهيته للعشاء، ويجب أن لا ننسى أن وجبة العشاء هي وجبة اليوم الفاخرة!

ولم يكن أيضاً معتاداً على شرب قهوة الضحى. لا، بل كان يفضل مشروب الشُّكلاتة مع بعض المعجنات في وجبة الفطور، ثم يتناول الغداء في حدود الساعة الثانية عشرة والنصف إن أمكنه ذلك، بشرط أن لا يتجاوز موعد الغداء الساعة الواحدة. وأخيراً تأتي وجبة التتويج: العشاء.

كانت تلك المواعيد هي لحظات الذروة في يوم هيركيول بوارو. كان رجلاً يحمل حاجة معدته دائماً على محمل الجد، وها هو ذا يجني ثمار ذلك في شيخوخته. لم يعد الطعام متعة جسدية فحسب بل أصبح عملية بحث عقلية، لأنه كان -بين الوجبات- يبحث ويفتش عن مصادر جديدة للطعام الشهي. وكان مطعم فييل غراندمير نتيجة إحدى عمليات البحث التي أنفق وقتاً فيها، وقد حظي هذا المطعم لتوه بقبول بوارو ورضاه. والآن بقي عليه -مع الأسف- أن يقضي فترة المساء.

تنهد هيركيول بوارو، وفكر قائلاً لنفسه: آه لو أن هيستنز كان موجوداً هنا!

استغرق بسرور في ذكرياته مع صديقه القديم: إنه أول صديق لي في هذه البلاد... وما زال أعز أصدقائي. صحيح أنه كان يغضبني أحياناً، ولكن هل أتذكر ذلك الآن؟ لا. إنني لا أذكر إلا تعجبه الساذج وتقديره لقدراتي بغم مفتوح... البساطة التي كنت أضلله بها دون

أن أنطق بكلمة واحدة غير صحيحة، وحيرته، ودهشته الهائلة وهو يدرك -في النهاية- الحقيقة التي كانت واضحة جلية لي منذ البداية. آه يا صديقي العزيز! إن نقطة ضعفي كانت دوماً حبي للمباهاة. تلك الصفة التي لم يفهمها هيستنغز أبداً. ولكن من الضروري جداً -في الحقيقة- أن يُعجب رجلٌ له مثل قدراتي بنفسه... ومن أجل ذلك لا بد له من مُحفِّزٍ خارجي. إنني لا أستطيع، لا أستطيع حقاً، الجلوس على كرسي طوال اليوم وأنا أفكر كم أنا مثير للإعجاب، فالمرء يحتاج إلى لمسة إنسانية. يحتاج -كما يقولون في هذه الأيام- إلى التابع الذي تظهر بالتقيض معه عبقرية المرء.

تنهد هيركيول بوارو وانعطف إلى شارع شافتسبري. أيقطع الشارع ويذهب إلى ساحة ليستر ليقتضي مساءه في إحدى دور السينما؟ هز رأسه بالنفي وهو متجهماً قليلاً، إذ غالباً ما كانت السينما تثير غضبه بسبب ضعف حبكة أفلامها وقلة الترابط المنطقي في حواراتها. وحتى التصوير -الذي كان الكثيرون يسهبون في امتداحه- لم يبدُ في نظر هيركيول بوارو إلا مجرد رسم لمشاهد وأشياء بحيث تبدو مخالفة تماماً لحقيقتها في الواقع.

رأى بوارو أن كل شيء غداً صناعياً هذه الأيام. لم يبقَ في أي مكان حب النظام والمنهجية اللذين يقدرهما بوارو عالياً، وكان نادراً ما يجد تقديراً للرقعة والذوق الحساس الدقيق. كانت مشاهد العنف والوحشية الفظة هي الموضة السائدة، ولأن بوارو كان ضابط شرطة سابقاً فإنه سئم الوحشية. لقد شاهد الكثير من الوحشية الفظة في شبابه، إذ كانت تلك هي القاعدة وليست الاستثناء. وقد وجدها مرهقة وسخيفة.

وعندما اتجه بوارو إلى بيته فكر قائلاً لنفسه: الحقيقة هي أنني غير منسجم مع هذا العصر، وأني (وإن يكن الأمر بطريقة متفوقة) عبداً كغيري من الناس. لقد استعبدني عملي كما استعبدت الناس أعمالهم، فعندما تتوفر لديهم ساعة فراغ لا يدرون ماذا يفعلون بها، فتجد المصرفي المتقاعد يمارس الغولف، والتاجر الصغير يزرع الورود في حديقة منزله، أما أنا فإنني أكل. ولكن ها أنا ذا أعود إلى نفس المشكلة: إن المرء لا يستطيع أن يأكل أكثر من ثلاث مرات في اليوم، وبين هذه الوجبات تكون الثغرات.

مر بوارو بجانب بائع صحف ووقف قليلاً يستعرض العناوين: «نتيجة محاكمة ماغتني. الحكم النهائي».

لم يثر الخبر اهتمامه، وتذكر -بشكل مبهم- فقرة صغيرة قرأها في الصحف. لم تكن حالة قتل مثيرة، فقد قُتلت امرأة عجوز بئسة بضربة على رأسها من أجل جنيتها قليلة، وكل ذلك جزء من الوحشية الفظة القاسية لهذه الأيام.

دخل بوارو إلى ساحة المُجمّع الذي توجد به شقته. وكعاداته، امتلأ قلبه بالاستحسان للمجمع. كان فخوراً ببيته، ذلك البناء الرائع المتناسق. وحمله المصعد إلى الطابق الثالث حيث توجد شقته الفاخرة المفروشة بأرائك مربعة الشكل وتحفّيات مستطيلة بشكل صارم تماماً. يمكن القول -بالفعل- إن البيت يخلو من أي شكلٍ مُنحني.

وفيما هو يفتح الباب ويدخل الصالة المربعة البيضاء، تقدم خادمه جورج لاستقباله قائلاً: "مساء الخير يا سيدي. يوجد... سيد

ينتظر مقابلتك". ثم قام بمساعدة بوارو على خلع معطفه برفق.

انتبه بوارو لتلك الوقفة الخفيفة جداً قبل كلمة سيد. لقد كان جورج خبيراً باعتباره ممن يكتون تقديراً مبالغاً به للمكانة الاجتماعية. سأله بوارو: حقاً؟ ما اسمه؟

- رجل يُدعى السيد سبنس يا سيدي.

- سبنس؟

لم يَعْنِ هذا الاسم شيئاً بالنسبة لبوارو لأول وهلة، ومع ذلك أدرك أنه يجب أن يعني شيئاً.

وقف قليلاً أمام المرأة ليعدل شاربيه إلى درجة الكمال، ثم فتح باب غرفة الجلوس ودخل. ونهض الرجل الذي كان يجلس في إحدى الأرائك المربعة الكبيرة وقال: مرحباً يا سيد بوارو. أرجو أنك تتذكرني؛ لقد مضى وقت طويل. أنا المفتش سبنس.

- بالطبع!

صافحه بوارو بحرارة. المفتش سبنس من شرطة كيلشستر. كانت تلك قضية مثيرة جداً... قبل زمن طويل كما قال سبنس.

عرض بوارو على ضيفه أنواعاً مختلفة من الأشربة: عصير الرمان أو شراب النعنع أو الكاكاو الحار؟ وفي تلك اللحظة دخل جورج يحمل طبقاً عليه إبريق الشاي وقال: لعلك تفضل الشاي يا سيدي؟

تهلل وجه المفتش سبنس الأحمر الضخم وقال: نعم، هذا ما أفضله.

وعندما قُدم لسبنس كوب الشاي صَبَّ بوارو لنفسه كأساً من شراب النعنع الأخضر اللامع وقال: كم هو رائع منك أن تأتي لزيارتي! رائع. من أين جئت؟

- جئت من كيلشستر. سأتقاعد خلال ستة أشهر، وقد استحق موعد تقاعدي عملياً قبل سنة ونصف، ولكنهم طلبوا مني البقاء في الخدمة ففعلت.

قال بوارو بحرارة: لقد كان قراراً حكيماً... حكيماً جداً.

- أحقاً؟ أشك في ذلك. لست متأكداً من صحة قراري.

أصر بوارو قائلاً: بلى، لقد كنت حكيماً في قرارك. إنك لا تتصور الساعات الطويلة التي ستقضيتها بملل وسأم.

- آه، سيكون لديّ الكثير من الأعمال عندما أتقاعد، فقد انتقلنا إلى بيت جديد في العام الماضي وفيه حديقة لا بأس بها ولكنها مهملة بدرجة مُعيبة، ولم يسعفني الوقت -بعدُ- لأعتني بها بالشكل المناسب.

- آه، نعم، أنت ممن يحبون ترتيب الحدائق. أما أنا فقد قررت ذات مرة أن أعيش في الريف وأزرع الكوسا، ولكن محاولتي لم تنجح؛ ليس لديّ الميل لذلك.

قال سبنس متحمساً: كان يجب أن ترى ثمار الكوسا التي أنتجتها العام الماضي، كانت عملاقة! والأزهار أيضاً... أنا مغرم بزراعتها، وسأحصل على...

ثم توقف عن هذا الحديث فجأة وقال: ليس هذا ما جئتُ
للحديث عنه.

- نعم، نعم، لقد جئت لتزور صديقاً قديماً، وهذا لطف منك.
إنني أقدر ذلك.

- أظن أن الأمر أكبر من ذلك يا سيد بوارو. سأكون صادقاً
معك، إنني أريد شيئاً.

همهم بوارو بحذر: لعل بيتك مرهون؟ وأنت تريد قرضاً...
قاطعته سبنس بصوت مرتعب: يا إلهي! ليست المسألة مسألة
مال! لا شيء من هذا القبيل.

لوح بوارو بيديه معتذراً وقال: أرجو المعذرة.

- سأخبرك مباشرة. إن مجيئي إلى هنا وقاحة، ولن أستغرب
إذا ما أخرجتني مذموماً.

- لن يكون ذم. أكمل.

- إنها قضية ماغتني. لعلك قرأت عنها؟

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: لم أقرأ عنها باهتمام. السيدة
ماغتني... امرأة عجوز في بيت أو دكان. وقد ماتت، نعم. كيف
ماتت؟

حملق سبنس في بوارو وقال: يا إلهي! إن هذا يذكرني
بالماضي. أمر غريب، ولم أفكر به حتى هذه اللحظة.

- عفواً، ماذا تقول؟

- لا شيء. مجرد لعبة... لعبة للأطفال كنا نلعبها ونحن أطفال.
كنا نقف معاً في صف واحد ثم يسأل واحد ويجيب الآخر، وهكذا
تستمر إلى النهاية. "ماتت السيدة ماغنتي"... "كيف ماتت؟"... "متكئة
على ركبة واحدة كما أتكى أنا". ثم يُسأل السؤال الثاني: "السيدة
ماغنتي ماتت"... "كيف ماتت؟"... "مادةً يدها كما أمدها أنا". ثم
نركع جميعاً رافعين أيدينا اليمنى. ثم يأتي السؤال: "السيدة ماغنتي
ماتت"... "كيف ماتت؟"... "هكذا". وهوب... يسقط من في رأس
الصف جانباً فنسقط جميعاً معه كحزمة من العيدان!

ضحك سبنس بصوت عالٍ على هذه الذكرى وقال: لقد
رَجَعْتَنِي إِلَى الْأَيَّامِ الْخَوَالِي فَعَلًا.

انتظر بوارو بأدب. كانت تلك لحظة من اللحظات التي وجد
فيها الإنكليزَ غيرَ مفهومين رغم أنه أمضى نصف حياته في إنكلترا.
لقد كان يلعب ألعاباً كثيرة في طفولته، ولكنه لم يشعر برغبة في
التحدث عنها، ولا حتى بالتفكير فيها.

وعندما سيطر سبنس على انفعاله أعاد بوارو السؤال بأثر بسيط
من السأم: كيف ماتت؟

زالت آثار الضحك عن وجه سبنس وعاد إلى طبيعته فجأة
وقال: لقد ضُربت على مؤخرة رأسها بأداة ثقيلة حادة، وقد أُخِذت
مدخراتها التي تبلغ ثلاثين جنيهاً بعد تفتيش غرفتها. كانت تعيش
وحيدة في بيت صغير، باستثناء مستأجر اسمه جيمس بنتلي.

- آه، نعم، بتتلي.

- لم يُقْتَحَم البيت بالكسر والخلع، ولا آثار للعبث بالنوافذ والأقفال. كان بتتلي مفلساً بعدما فقدَ عمله وتراكت عليه أجرة شهرين. وقد عُثِر على الأموال مخبأة تحت حجر خلف المنزل، وُوجِدَت على كُفِّ سترة بتتلي بعض الدماء والشعر. وكان الدم من نفس زمرة دم القتيلة، وكذلك الشعر من شعرها، ووفقاً لما قاله بتتلي في أول إفادة له فإنه لم يقترب أبداً من الجثة، ولذلك لا يمكن أن يكون الدم والشعر قد جاء إلى كُفِّه بالمصادفة.

- مَنْ الذي عثر عليها؟

- جاء الخباز إليها بالخبز في اليوم الذي يتقاضى فيه حسابه. وفتح له البابَ جيمس بتتلي وقال إنه طرق باب غرفة نوم السيدة ماغنتي فلم يردَّ عليه أحد. اقترح الخباز أنها قد تكون أصيبت بسوء، فطلبوا من صاحبة البيت المجاور أن تصعد وترى. لم تكن السيدة ماغنتي في غرفة نومها، ولم تكن قد نامت في الفراش، ولكن بدا أن الغرفة فُتِّشَتْ وُخِّلَعَت الألواح الخشبية عن أرضيتها. ثم فكروا بالبحث في صالة الاستقبال فوجدوها هناك ممددة على الأرض، وانفجرت جارتها بالصراخ بأعلى صوتها. ثم استدعوا الشرطة بالطبع.

- وهكذا أُلقي القبض على بتتلي وقدم للمحاكمة، أليس كذلك؟

- بلى، وقد انتهت القضية في المحكمة العليا بالأمس، وكانت قضية مباشرة لا خلاف حولها. اجتمعت هيئة المحلفين لمدة عشرين دقيقة فقط، وكان الحكم أنه مذنب، وحكم عليه بالإعدام.

أوماً بوارو برأسه وقال: وبعد ذلك، بعد صدور الحكم، ركبت
القطار وجئت إلى لندن لتقابلني. لماذا؟

كان المفتش سينس جالساً يتأمل كوب الشاي. مرّ إصبعه
على حافة الكوب ببطء وقال: لأنني لا أحسب أنه ارتكب الجريمة!

* * *

الفصل الثاني

سادت لحظات صمت، ثم قال بوارو: لقد جئت إليّ...

لم يكمل بوارو الجملة. رفع المفتش سبنس نظره إلى الأعلى، وكان وجهه قد احمرّ أكثر من ذي قبل. صار وجهاً نموذجياً لرجل ريفي، وجهاً متحفظاً خالياً من التعبير، ذا عينين حادتين ولكنهما صادقتان. كان وجه رجل ذي معايير ثابتة محددة ليس من شأنه أبداً أن تزعجه شكوك بنفسه أو شكوك في ماهية الصواب والخطأ.

قال: لقد قضيتُ زمناً طويلة في عمل الشرطة ولديّ خبرات طويلة ومتنوعة في مختلف الموضوعات، وأستطيع أن أحكم على الرجال كأني شخص آخر. وقد تعاملت مع حالات قتل أثناء خدمتي. كان بعضها مباشراً سهلاً، وبعضها الآخر لم يكن مباشراً بنفس الدرجة. وأذكر حالة تعرفها أنت يا سيد بوارو.

أوماً بوارو برأسه موافقاً، ومضى سبنس يقول: كانت قضية معقدة، ولعلنا ما كنا لنرى الأمور بوضوح لولاك أنت. ولكننا رأينا الأمور بوضوح، ولم يكن في الموضوع أي شك. وينطبق الأمر على القضايا الأخرى التي لا تعرفها: ويشلر الذي قُتل (وكان

يستحق ذلك)، وأولئك الرجال الذين قتلوا العجوز غوترمان، وفيرال وزرنيخه، وتراثر الذي استطاع النجاة من العقاب، والسيدة كورتلاندي التي كانت محظوظة، فقد كان زوجها ضالاً منحرفاً مما جعل هيئة المحلفين تبرئها، ليس بدافع العدالة... بل بسبب العاطفة. لا بد للمرء أن يضع في الحسبان مثل هذا الأمر بين الحين والآخر. أحياناً لا تتوفر أدلة كافية، وأحياناً تتدخل العواطف، وقد يستطيع قاتل أحياناً أن يوهم المحلفين ببراءته... وهذه الحالة الأخيرة لا تحدث كثيراً، ولكنها يمكن أن تحدث. أحياناً يكون السبب تصرفاً ذكياً من الدفاع، أو بسبب استخدام الادعاء العام أسلوباً غير صحيح. نعم، لقد شاهدت حالات كثيرة من هذا النوع. ولكن... ولكن...

لوح سبنس بسبابة ثقيلة وقال: أنا لم أشهد -طوال فترة خبرتي- رجلاً بريئاً يُعدم لجرم لم يرتكبه، وهذا أمر لا أريد أن أراه يا سيد بوارو. ليس في هذا البلد.

نظر بوارو إليه وقال: وأنت تظن أنك ستراه الآن؟ ولكن لماذا؟

قاطعته سبنس قائلاً: أعرف بعضاً مما ستقوله، وسأجيبك عنه قبل أن تسأل. لقد كُلفتُ بهذه القضية، وطلب مني جمع الأدلة على ما حدث. استعرضتُ القضية كلها بكل دقة، وتوصلت إلى الحقائق... جميع الحقائق التي استطعت التوصل إليها. وقد أشارت كل هذه الحقائق إلى اتجاه واحد... إلى شخص واحد. وبعد أن جمعت الحقائق رفعتها إلى رئيسي، وبعدها خرج الأمر من يدي، فقد رُفعت القضية إلى المدعي العام وأصبح القرار قراره، وقد قرر ملاحقة الرجل قضائياً. لم يكن بوسع اختياري عمل آخر بعد كل تلك

الأدلة. وهكذا اعتُقل جيمس بنتلي وقدم للمحاكمة وتقررت إدانته، ولم يكن بالإمكان إصدار حكم آخر في ضوء الأدلة المتوفرة. وهيئة المحلفين لا تعتمد إلا على الأدلة، ولا أحسب أنهم قد شعروا بأي تردد أيضاً. نعم، أحسب أنهم كانوا جميعاً مقتنعين بأنه مذنب.

- ولكنك... أنت لست مقتنعاً؟

- نعم، أنا غير مقتنع.

- لماذا؟

تنهد المفتش سبنس وفرك ذقنه بيده الكبيرة متأملاً وقال: لا أدري. ما أقصده هو أنني لا أستطيع إعطاء سبب لذلك... سبب ملموس. لقد بدا لهيئة المحلفين وكأنه قاتل، أما بالنسبة لي فلم يبدُ كذلك، وأنا أعرف عن القتلة أكثر بكثير مما يعرفون.

- نعم، نعم. أنت خبير.

- أحد أسباب ذلك أنه لم يكن مختالاً. لم يكن مختالاً على الإطلاق، ومن خبرتي فقد لاحظت أن القتلة عادة ما يكونون كذلك، يكونون دائماً مسرورين بأنفسهم، ويظنون أنهم يخدعونك، وهم متأكدون دائماً من أنهم كانوا أذكىء في كل ما فعلوه. وحتى عندما يكونون في قفص الاتهام حيث يجب أن يعلموا أنهم وقعوا، تجدهم ما يزالون يحسّون بشيء من الإثارة الغريبة من الأمر. فالأضواء مُسلطة عليهم، وهم الشخصيات الرئيسة... يلعبون دور البطولة، ربما لأول مرة في حياتهم. إنهم... إنهم مختالون!

قال سبنس كلمته الأخيرة بشيء من الحسم النهائي، ثم قال:

أنت تدرك ما أعنيه بذلك يا سيد بوارو.

- أدرك ذلك جيداً. وهذا الرجل، جيمس بتتلي... ألم يكن على هذا النحو؟

- بل كان... خائفاً جداً فقط، خائفاً جداً منذ البداية. ومن شأن ذلك أن يدل - في رأي بعض الناس - على أنه مذب، أما أنا فلا أنخدع به.

- نعم، أوافقك الرأي. كيف هو، هذا السيد بتتلي؟

- إنه في الثالثة والثلاثين من عمره. وهو متوسط الطول، وشاحب البشرة، ويضع نظارات...

تدخل بوارو ليووقف استرسال محدثه قائلاً: لا، لا أقصد صفاته الجسدية. ما نوع شخصيته؟
- آه... شخصيته.

فكر المفتش سبنس ثم قال: إنه شخص غير جذاب ومرتبك التصرف. لا يمكنه أن ينظر مباشرة في وجهك، وله طريقة جانبية مأكرة في النظر إليك. وهذا أسوأ نمط يمكن عرضه على هيئة المحلفين. تجده أحياناً متذلاً متملقاً، وأحياناً تجده مشاكساً متحدياً ويتوعد بطريقة لا يتقنها تماماً.

سكت قليلاً ثم أضاف بأسلوب عرّضي: إنه من النوع الخجول حقاً. لي ابن عم يشبهه في هذه الصفة، فإذا ما أفسد أمراً جاءك بكذبة سخيفة لا يمكن لأحد أن يصدقها.

- لا يبدو صاحبك جيمس بتلي جذاباً.

- آه، أبداً. لا يمكن لأحد أن يحبه، ولكنني لا أريد أن أراه
يعدم لأنه كذلك.

- أو تظن أنه سيُعدم؟

- لا أرى ما يمكن أن يمنع ذلك. لعل محاميه يقدم استئنافاً،
ولكن إذا حصل هذا فستكون المبررات واهية جداً... اعتماداً على
نقطة فنية ما، ولا أرى لها فرصة للنجاح.

- هل توفر له محامٍ جيد؟

- لقد عُيِّن له المحامي يونغ غريبروك بموجب «قانون الدفاع
عن الفقراء». أحسبه كان حيّ الضمير وبذل قصارى جهده.

- إذن فقد نال الرجل محاكمة عادلة وأدانتته هيئة محلفين من
مواطنيه.

- هذا صحيح. كانت هيئة المحلفين ذات مستوى جيد، سبعة
رجال وخمس نساء، وكلهم شخصيات شريفة معقولة. وكان القاضي
هو العجوز ستانسدیل، وهو شديد التحرز في إنصافه وليس ذا هوى.

- أليس لدى بتلي - إذن - ما يشكو منه وفق القوانين الوضعية؟

- إذا ما سُنتق لجريمة لم يرتكبها فسيكون له ما يشكو منه.

- ملاحظة منصفة جداً.

- وقد كانت قضية إدانته قضيتي أنا؛ أنا الذي جمعت الحقائق

وقدمتها، وقد أُدين بموجب تلك الأدلة والحقائق. وأنا غير مرتاح لهذا يا سيد بوارو... غير مرتاح له.

أطال بوارو النظر إلى وجه المفتش سبنس الأحمر المنفعل ثم قال: حسناً. ماذا تقترح؟

بدا سبنس محرّجاً بشدة وقال: أحسب أنك قد عرفت تماماً الآن ما سيحدث. لقد أُغلقت قضية بنتلي، وأنا الآن أعمل في قضية أخرى، قضية اختلاس، وعليّ الذهاب إلى سكتلندا هذه الليلة. أنا لست رجلاً حر التصرف.

- وهل أنا... كذلك؟

أوماً سبنس برأسه بخجل وقال: لقد غلبتني. ستظن أنها وقاحة بالغة مني، ولكني لا أستطيع أن أفكر بأي تصرف آخر... بأية طريقة أخرى. فعلت كل ما بوسعي في ذلك الوقت، درست كل احتمال ممكن ولم أصل إلى شيء، ولا أظن أنني سأصل إلى شيء أبداً. ولكن من يعلم؟ ربما كان الأمر مختلفاً معك أنت، فأنت تنظر إلى الأشياء بطريقة غريبة، وأرجو المعذرة على هذا التعبير. ولعل تلك هي الطريقة التي ينبغي النظر بها إلى الأمور في هذه القضية، فإن لم يكن جيمس بنتلي هو من قتلها فلا بد أن شخصاً آخر قتلها. لا يمكن أن تهشم مؤخرة رأسها بنفسها. ولعلك تستطيع العثور على شيء لم أجده. ليس من سبب يدفعك للعمل في هذه القضية، ومن الوقاحة البالغة أن أقترح عليك ذلك، ولكن هذا ما حصل. لقد جئت إليك لأن هذا كان العمل الوحيد الذي استطعت التفكير فيه، ولكن إذا كنت لا تريد إزعاج نفسك... ولماذا عساك ترغب به؟

قاطعته بوارو قائلاً: ولكن في الحقيقة عندي أسباب. لدي وقت فراغ، وقت فراغ طويل، وقد أثرت اهتمامي. نعم، لقد أثرت اهتمامي كثيراً. إنه تحدّد... تحدّد لخلايا دماغي الرمادية الصغيرة. ثم إنني أكنّ لك احتراماً، وبوسعي أن أتصورك وأنت تعمل في حديقتك بعد ستة أشهر، مشغولاً ربما بزراعة الأزهار، وفيما أنت تزرعها لن تكون سعيداً كما يجب لأن في خلفية عقلك ألماً أو ذكرى تحاول التخلص منها، ولن أجعل هذا الشعور يتتابك يا صديقي. وأخيراً...

جلس بوارو منتصباً في كرسيه وأوماً برأسه بقوة وقال: "وأخيراً يوجد مبدأ في هذا الأمر. إذا لم يرتكب الإنسان جريمة قتل فيجب أن لا يُشنق". وتوقف قليلاً ثم أضاف قائلاً: ولكن ماذا لو تبين في نهاية الأمر أنه هو الذي قتلها؟

- في تلك الحالة سأكون شاكراً لك لاقتناعي بالأمر.

- ورأي اثنين خيراً من رأي واحد؟ حسناً، انتهى الأمر؛ سأكرس نفسي للعمل في هذه القضية. من الواضح أننا لا وقت لدينا لنضيقه، فقد بهتت آثار الجريمة أصلاً. متى قُتلت السيدة ماغنتي؟

- في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي.

- إذن دعنا ندخل فوراً في حقائق القضية.

- لدي ملاحظاتي الخاصة عن القضية وسأضعها بين يديك.

- حسناً، نحن الآن بحاجة إلى الصورة العامة فقط. إذا لم يقتل

جيمس بنتلي السيدة ماغنتي فمن الذي قتلها؟

رفع سبنس كتفيه حيرة وقال بحزن: لا أحد، بقدر ما أرى.

- ولكننا لا نقبل هذه الإجابة. وبما أن دافعاً يقف خلف كل جريمة قتل فما هو الدافع في حالة السيدة ماغتتي؟ الحسد، الانتقام، الغيرة، الخوف، المال؟ أبدأ بالدافع الأخير والأسهل؟ من الذي استفاد من موتها؟

- لم يستفد أحدٌ كثيراً. كان لديها مئتا جنيه في بنك الادخار، وقد آلت إلى ابنة أختها.

- إن مبلغ مئتي جنيه ليس كبيراً، ولكنه قد يكون كافياً في ظروف معينة، لذلك دعنا نفكر في أمر ابنة أختها. أعتذر - يا صديقي - لأنني أتبع نفس خطاك، فأنا واثق أنك فكرت بكل هذه الأمور، ولكنني مضطراً لأن أراجع معك ما سبق تمهيده في هذا الحقل.

أوماً سبنس برأسه الكبير وقال: لقد درسنا وضع ابنة الأخت طبعاً. إنها امرأة متزوجة في الثامنة والثلاثين من عمرها. زوجها يعمل رساماً في مهنة البناء والديكور، وهو رجل ذكي ليس بالأحمق المغفل وذو شخصية جيدة وعمله مستقر. وهي شابة مرحة تميل إلى الشرثرة قليلاً وتبدو محبة لخالتها باعتدال. ولم تكن لأيٍ منهما حاجة ماسة لمئتي جنيه، رغم أنهما فرحا تماماً بالحصول عليها كما أظن.

- ماذا بشأن البيت الصغير؟ هل يحصلان عليه؟

- لقد كانت القتيلة مستأجرة لا غير، وبموجب «قانون محددات الإيجار» لم يكن بوسع صاحب العقار إخراج العجوز منه. أما الآن فقد ماتت، ولا أظن أن بوسع ابنة أختها السكن فيه. وعلى أية حال

فإنها وزوجها لا يريدان ذلك، فلديهما بيت صغير حديث من البيوت التي توزعها البلدية، وهما فخوران جداً به.

ثم تنهد سبنس وأضاف: لقد درستُ حالة ابنة الأخت وزوجها عن كذب، فقد بدا أنهما أفضل مُرشَّحين كما ستري، ولكني لم أستطع العثور على شيء ضدهما.

- حسناً، دعنا نتحدث الآن عن السيدة ماغنتي نفسها. صفها لي... ليس من الناحية الجسمية فقط إذا سمحت.

ابتسم سبنس وقال: ليس وصف الشرطة هو ما تريده، أليس كذلك؟ حسناً، كانت أرملة في الرابعة والستين من العمر، وكان زوجها يعمل في قسم الخياطة في محلات هودجيز في كيلشستر ومات قبل سبع سنوات بعد إصابته بذات الرئة، ومنذ ذلك الحين اعتادت السيدة ماغنتي أن تخرج يومياً للعديد من البيوت في المنطقة للقيام ببعض الأعمال البيتية. إن بروديني قرية صغيرة وقد صارت مؤخراً منطقة سكنية يسكن فيها بعض المتقاعدين، وأحد الشركاء في ورشة هندسية، وطبيب، وآخرون. وتوجد خدمة حافلات وقطارات جيدة بينها وبين كيلشستر، وعلى بعد ثمانية أميال منها تقع مدينة كولينكيه التي تعتبر مصيفاً كبيراً، ولكن بروديني نفسها ما زالت ريفية وجميلة، وهي تبعد نحو ربع ميل عن الطريق العام المؤدي إلى درايماوث وكيلشستر.

أوماً بوارو برأسه، فيما مضى سبنس قائلاً: كان منزل السيدة ماغنتي أحد البيوت الأربعة التي تشكل مجمل القرية. ويوجد مكتب بريد ومتجر للقرية، ويسكن عمال الزراعة في البيوت الأخرى.

- وقد أسكنت عندها مستأجراً؟

- نعم. قبل موت زوجها كانت تستقبل نزلاء لفترة الصيف فقط، وبعد وفاته أخذت تكتفي بنزيل واحد دائم، وكان قد مر على إقامة جيمس بنتلي عندها بضعة أشهر.

- وهكذا نصل إلى... جيمس بنتلي؟

- كان آخر عمل لجيمس بنتلي مع أحد المكاتب العقارية في كيلشستر، وقبل ذلك كان يعيش مع والدته في كولينكيه. كانت والدته مقعدة وكان يقوم على رعايتها ولا يخرج كثيراً. ثم توفيت، وتوفي بوفاتها الراتب السنوي الذي كانت تتقاضاه، فباع ابنها البيت الصغير ووجد له عملاً. إنه ذو تعليم جيد، ولكن ليست لديه مؤهلات أو مهارات خاصة. وكما قلت لك، فإنه ذو سمعة مُنقَر. وجد صعوبة في الحصول على عمل إلى أن منحته شركة بريشر أند سكاتل عملاً، وهي شركة من الدرجة الثانية تقريباً. لا أحسبه كان متميزاً أو ناجحاً بشكل خاص، وعندما خفضت الشركة عدد موظفيها كان هو ممن فقدوا أعمالهم، ولم يستطع العثور على عمل آخر ونفدت أمواله. اعتاد أن يدفع للسيدة ماغنتي أجرة غرفته كل شهر، وكانت تقدم له وجبتي الإفطار والعشاء لقاء ثلاثة جنيهات أسبوعياً، وهو سعر معقول عموماً. كان قد تأخر عن دفع الأجرة مدة شهرين، ولم يجد عملاً آخر، وكانت السيدة ماغنتي تطالبه بما استحق عليه من أجور.

- وهل كان يعرف أن لديها ثلاثين جنيهاً في البيت؟ لماذا كانت تحتفظ بثلاثين جنيهاً في البيت بالمناسبة، طالما أن لها حساباً في بنك الادخار؟

- لأنها لم تثق في الحكومة. قالت إن الحكومة حصلت على مئتي جنيه من أموالها، ولكنها لن تحصل على المزيد، وإنها ستحتفظ بذلك المبلغ حيث يكون في متناول يدها عندما تشاء. أخبرت بذلك بعض الأشخاص القليلين، وكان المبلغ تحت لوح خشبي مخلوع في أرضية غرفة نومها... مكان واضح جداً. وقد اعترف جيمس بنتلي بأنه كان يعرف بوجود المبلغ هناك.

- هذا فضلٌ بالغٌ منه. هل كانت ابنة أختها وزوجها يعلمان بذلك أيضاً؟

- نعم.

- ها قد عدنا إلى أول سؤال طرحته عليك. كيف ماتت السيدة ماغنتي؟

- ماتت في ليلة الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر)، وقدّر الطبيب الشرعي وقت وقوع الوفاة بين الساعة السابعة والعاشر مساءً. كانت قد تناولت عشاءها المكون من سمكة وخبز وزبدة، وتشير جميع المعلومات إلى أنها كانت تتناول عشاءها نحو الساعة السادسة والنصف، فإن كانت قد التزمت بذلك تلك الليلة فإن الدليل الطبي المتعلق بمستوى الهضم يشير إلى أنها قُتلت ما بين الساعة الثامنة والنصف والتاسعة. أما جيمس بنتلي فقد أفاد بأنه كان خارجاً يتمشى ما بين الساعة السابعة والرابع والتاسعة. كان يخرج للمشي كل مساءً تقريباً بعد حلول الظلام، ووفقاً لروايته هو، فقد رجع إلى البيت في نحو الساعة (وكان لديه مفتاح خاص به) وصعد فوراً إلى غرفته (وكانت السيدة ماغنتي قد ركّبت مغاسل في غرف النوم لاستخدام

زوار الصيف). قرأ لمدة نصف ساعة ثم أوى إلى فراشه، ولم يسمع أو يلاحظ شيئاً خارجاً عن المألوف. وفي صباح اليوم التالي نزل إلى الطابق الأول ونظر إلى المطبخ فلم يرَ فيه أحداً، ولم يرَ ما يدل على إعداد الإفطار. قال إنه تردد قليلاً ثم طرق باب السيدة ماغنتي فلم يحصل على إجابة، فظن أنها ما تزال مستغرقة في نومها، ولم يشأ الاستمرار في طرق الباب. ثم جاء الخباز فذهب بتبلي وطرق الباب مرة أخرى، وبعد ذلك ذهب الخباز - كما قلت لك - إلى البيت المجاور وأحضر سيدة تُدعى السيدة إليوت، هي التي عثرت أخيراً على الجثة فكادت تفقد عقلها. كانت السيدة ماغنتي ممددة على أرض الصالة، وكانت قد ضُربت على مؤخرة رأسها بأداة تكاد تشبه ساطور اللحم ذات حافة حادة جداً. وقد قُتلت على الفور. كانت الأدراج قد فتحت، والأشياء قد بعثرت، واللوح المرتخي في الأرضية قد نُخلع، وكان المخبأ تحته فارغاً. كانت النوافذ كلها مغلقة من الداخل، ولم توجد آثار لعبث بأفعالها أو كسر أو اقتحام من الخارج.

قال بوارو: لذلك إما أن يكون جيمس بتبلي هو القاتل، وإما أنها قد أدخلت قاتلها بنفسها إلى البيت أثناء غيابه.

- بالضبط. لم تكن عملية سرقة أو سطو. والآن: مَنْ هو -يا ترى- الذي يمكن أن تدخله إلى بيتها؟ أحد جيرانها أو ابنة أختها أو زوج ابنة أختها؟ هذه هي النقطة الرئيسة. لقد استبعدنا الجيران، وكانت ابنة أختها وزوجها في إحدى دور السينما في تلك الليلة. من الممكن... من الممكن فقط أن يكون أحدهما قد غادر السينما خلسة وركب دراجة لمسافة ثلاثة أميال وقتل العجوز ثم خبأ الأموال

خارج البيت وعاد إلى السينما دون أن يلاحظه أحد. لقد درسنا هذا الاحتمال ولم نجد ما يؤكدده. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يخبئ المال خارج بيت ماغنتي؟ سيكون من الصعب عليه أن يأخذه فيما بعد. لماذا لم يخبئه في مكان آخر على الطريق الممتد ثلاثة أميال. لا، إن السبب الوحيد لإخفاء الأموال في المكان الذي كانت فيه هو...

أكمل بوارو الجملة عنه: هو أن القاتل يعيش في البيت، ولم يشأ أن يخبئها في غرفته أو في أي مكان داخل البيت. أي أننا نعود في الحقيقة إلى جيمس بنتلي.

- هذا صحيح. أينما ذهبت وكيفما حللت تجد نفسك أمام بنتلي. وأخيراً كان الدم على كُمه.

- كيف فسّر ذلك؟

- قال إنه تذكر احتكاكه بمحل جزار لدى مروره أمامه في اليوم السابق. مجرد هراء، فلم يكن الدم دم حيوان.

- وهل تمسك بهذا التفسير؟

- لا، بل روى في المحكمة قصة مختلفة تماماً. فقد كانت على كُم معطفه شعرة أيضاً... شعرة ملطخة بالدم، وكانت الشعرة مطابقة تماماً لشعر السيدة ماغنتي، وكان عليه تفسير ذلك. اعترف - وقتها - أنه دخل إلى الغرفة في الليلة السابقة عندما رجع من نزهته. قال إنه دخل بعد أن طرق الباب فوجد السيدة ماغنتي هناك ممددة على الأرض، ميتة. وقد انحنى ولمسها ليتأكد من حالتها. ثم فقد صوابه، فقد كان دوماً يتأثر لرؤية الدم، فذهب إلى غرفته منهاراً

يكاد يُغْمَى عليه. وفي الصباح لم يستطع حمل نفسه على الاعتراف بأنه يعرف ما حدث.

علق بوارو قائلاً: قصة مريبة جداً.

قال سبنس: "إنها كذلك بالفعل". ثم أضاف متأملاً: ومع ذلك فقد تكون صحيحة. إنها ليست مما يمكن للإنسان العادي (أو حتى لهيئة المحلفين) تصديقه، ولكنني قابلت أناساً على هذا النحو. أنا لا أقصد قصة الانهيار، بل أقصد أولئك الذين يواجهون موقفاً يتطلب منهم عملاً مسؤولاً فلا يستطيعون مواجهته. فلنقل إنه دخل فعثر عليها ميتة. إنه يعرف أن عليه أن يفعل شيئاً: أن يتصل بالشرطة، أو يذهب إلى أحد الجيران، أو يقوم بالتصرف الصحيح كائناً ما كان. ولكنه جَبَنَ وترك الأمر، قال لنفسه: "لست بحاجة لمعرفة شيء عن الأمر، وما كان ينبغي لي أن آتي إلى هنا الليلة. سأذهب إلى فراشي وكأنتي لم أدخل إلى هنا أبداً". وبالطبع فإن خلف ذلك كله الخوف، الخوف من الاشتباه في تورطه في العملية. لقد ظنَّ أنه سيُبعد نفسه عن القضية أطول وقت ممكن، وهكذا تورط هذا الساذج الغبي في الأمر حتى أذنيه. من الممكن أن يكون هذا ما حدث.

قال بوارو متأملاً: ممكن.

- أو أنها لا تعدو أن تكون أفضل قصة فُكِّرَ له بها محاميه!
تقول النادلة في مقهى كيلشستر (حيث كان يتناول غداءه عادة) إنه كان دائماً يجلس على مائدة بحيث يكون نظره متجهاً إلى حائط أو زاوية بحيث لا يرى الناس. لقد كان من هذا النوع من الرجال؛ فيه شيء من غرابة الأطوار، ولكن لا يبلغ به ذلك درجة القتل. ليست

لديه عقدة اضطهاد أو شيء من هذا القبيل.

نظر سبنس إلى بوارو بشيء من الأمل، ولكن بوارو لم يستجب له، فقد كان متجهماً. وجلس الرجلان صامتين لبعض الوقت.

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت
لك قراءة ممتعة وعرفتك بالرواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية
(وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com